الإسلام والتطرف الديني
أسبابه وعلاجه

بقلم د/ بلقاسم شتوان

أولا: تعريف التطرف:

إن كلمة " التطرف " في اللغة العربية مصدر الفعل " تطرف"و تطرف الشيء صار طرفا[1].

و قال صاحب لسان العرب " طرف" الطرف : طرف العين . والطرف إطباق الجفن على الجفن.

و الطِّرف: بكسر الطّاء: الكريم العتيق من الخيل، والكريم كذلك من الفتيان والرجال.

و الطرف من الرجال: الرغيب العين الذي لا يرى شيئا إلا أحب أن يكون له. وطرف: بالضم، والطّرفي في النسب مأخوذ من الطرف وهو البعد . وطرف الشيء منتهاه. وتطرف الشيء صار طرفا"[2].

و قال الراغب : طرف الشيء: جانبه. وتستعمل في الأجسام والأوقات وغيرها"[3] وعادة يكون الطرف بعيدا عن الجماعة بخلاف الوسط.

قال الشاعر العربي :

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا[4]

وعرف التطرف في اللغة العربية أيضا بأنه مجاوزة الحد، وبالتعصب، وبالخروج عن القصد في كل شيء، وهو نقيض التقصير، وأصله في المحسوسات ، والوقوف على الطرف بعيدا عن الوسط، كالطرف في الوقوف والجلوس، أو المشي، ثم انتقل إلى المعنويات كالتطرف في الدين أو في الفكر، أو السلوك"[5] يقول الأستاذ الدكتور الباحث أحمد بن نعمان في كتابه: " إن التعصب بعبارة واحدة هو التطرف يأتي في الطرف المقابل له : "الاعتدال، والاتزان."

و يقول: " التعصب بهذا المعنى هو التخلف . والتخلف قصور في العقل وهو دليل الجهل ، أو نقص المعرفة"[6].

و يقول: " التعصب والتطرف كلمة مطلقة تأتي مقابل الاعتدال، والاتزان، ونعني المبالغة في التشدّد الزائد عن اللزوم مع رفض التراجع والاعتراف بالخطأ"[7].

و خلاصة القول:" إن كلمة التطرف ، والتعصب، والتـــنطع، والغلو، والتشدّد هي كلمات ذات مدلول واحد."

ثانيا : نبذة تاريخية عن الطرف الديني في الإسلام :

إن ظاهرة التطرف الديني المعاصرة، والتي يعاني منها العالم الإسلامي والعربي اليوم لها جذور تاريخية ومظاهر متعددة، وقد تميزت في بدايتها بالتزمت الفكري، والتشدد الديني، ثم اتخذ أنصارها مواقف دينية وسياسية، واجتماعية، وقد أسفرت هذه المواقف عن عدائها للمجتمع ومؤسساته، تمثلت في اعتزاله ومقاطعته ، ومن ثم أصدرت الحكم بانحرافه وكفره .و في الأخير

بإعلان الحرب عليه والعمل على هدمه، وتخريب مؤسساته، وإسقاط حكوماته.

و يمكن القول باختصار بأن المذاهب الدينية السياسية التي ظهرت في التاريخ الإسلامي الأول، والتي شكلت قوى مضادة للخلافة المركزية، تجسدت في المذاهب السياسية [الخوارج ، والشيعة][8] على الرغم من الاختلاف الجوهري الأصيل بين المذهب. في القواعد العامة ، والأصول المشتركة لكل واحد منهما . وقد استمر هذان المذهبان على مدى العصور الإسلامية الأولى، وحتى عصرنا الحاضر يشكلان المنابع، والمصادر التي يستقي منها المعارضون للسلطة القائمة .

مهما كان نوع هذه السلطة لأنها لا تتفق مع مناهجهم.

وأما الوسائل المختارة لتحقيق غاياتهم وأهدافهم القصوى والنهائية من معارضيهم هي:

- الحركات والأحزاب الدينية والسياسية ذات الأصول السلفية مثل " الهجرة والتكفير". "والجهاد الإسلامي" فإنها تلتقي جميعا في برامجها الفكرية، وأساليب العمل مع الخوارج . في حين تصدر الأحزاب الدينية السياسية ذات التفرعات الشيعية مثل [حركة المجاهدين ، ومنظمة العمل الإسلامي ، وأمل] عن التشيع التاريخي . والسؤال الذي نطرحه ما هي الصفات العامة التي تتصف بها الحركات والأحزاب الدينية والسياسية ذات البعد السلفي، باعتبارها نماذج تحاكي في اتجاهاتها العامة التقاليد الخارجية ؟

- التشدّد الدّيني، ويتجلى ذلك في الالتزام الحرفي بالنصوص الدينية، والوقوف عند ظواهرها المتبادرة إلى الذهن، وذلك ضمن منهج انتقائي في فهم هذه النصوص دون الالتفات للمقاصد العامة للإسلام في عقيدته وشريعته، دون ملاحظة لوظيفة الواجبات الدينية في تحقيق أهداف عملية فردية واجتماعية، بل دون الالتفات لأسباب النزول أو المعرفة بأصول الاستدلال اللغوي الفقهي، ودون تمييز بين القاعدة العامة، والاستثناء المرتبط بسببه، فهم دائما مع ظاهر النص، والاجتهادات الفردية الشاذة، مما ينتهي في العادة والغالب من الأحيان إلى:

أ- ضحالة في الفكر وقصور في الفهم ، ونزعة ثائرة جامدة تطرد معنى التجديد والتطور من دائرتها وتسوق أصحابها إلى غربة فكرية كاملة في المجتمع.

ب- العنف الثوري المستمد من دعوة الخوارج والاستشهاد الجماعي، من أجل تحقيق الأهداف ، وتبرير ذلك كله بتأويلات تعسفية للنصوص الشرعية .

ج- تكفير المجتمع وإسقاط عصمة الآخرين واستباحة دمائهم وأموالهم، وقتل مخاليفيهم غيلة وغدرا و التميز بالعنف في التعامل والخشونة في الأسلوب، والغلظة في المعاملة مع الآخرين، وسوء الظن بهم، والتميز بخصائص عامة في تنظيماتهم والتي تعود في بعدها الزمني إلى التشيع ، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

التنظيم السري المتقن والذي يتم وفق سلم هرمي متدرج وذلك لاستفادتهم من أخطاء التنظيم الشيعي في تجربته أثناء مواجهة الأمويين والعباسيين ، وما أصابهم من عنف واضطهاد وتنكيل.

الميل إلى تأسيس الجمعيات السرية التي تخضع في قيادتها الروحية والزمنيـــة إلى رجل بعينه يدعي العصمة أو العلم واليقين.

إضافة الحركات الدينية والسياسية المنتسبة إلى التشيع أمور جديدة تتمثل في الثورية والانقلابية ويتجسد هذا العنصر في نظرية " ولاية الفقيه العامـــة " التي تكلم عنها الإمام خميني في كتابه كشـــف الأســـرار 1944 م ثم أجملـــها ولخصها في صورة دعوة إلى الحركة وبرنامج للانقلاب في كتابه " الحكومـــة الإسلامية "[9].

ثالثا: أسباب التطرف الديني :

إن التطرف الديني ظاهرة لها بعدها التاريخي بتاريخ المجتمع الإسلامي ، وهي قضية معقدة ومركبة قديما وحديثا ، وبواعثه أيضا كثيرة ومتنوعة ومتداخلة وبعضها قريب وبعضها بعيد ، بعضها مباشر ، وبعضها غير مباشر، وبعضها واضح ماثل للعين ، وبعضها غائر في الأعماق ، ومن هذه الأسباب ما هو ديني ، وما هو سياسي، ومنها ما هو اجتماعي، وما هو اقتصادي، ومنها ما هو نفسي، وما هو فكري ، ومنها ما هو خليط من هذا كله.[10]

1 - قد يكون سبب التطرف الديني ظاهرة داخل الشخص نفسه ويكون أصلها غرور الشخص بنفسه، وازدرائه للغير، وقد كانت هذه أول معصية في الوجود معصية إبليس لله عز وجلّ ، وأساسها الغرور والكبر، حين قال لعنه الله " أنا خير منه"[11]

2 - وقد يكون سبب ظاهرة التطرف داخل أسرة الشخص عند الأب أو الأم أو اخوة الشخص ، وعلاقتهم بعضهم ببعض، لان الله خلق الناس مختلفين

في الخلقة وكذلك في القدرات العقلية وغيرهما، فمن البديهي أن يكونوا مختلفين في التفكير ووجهات النظر – قال تعالى(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم . وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين)[12].

3 – وقد يكون سبب ظاهرة التطرف عند التحليل والتعمق في المجتمع ذاته، وما يحمل في عمقه من تناقضات صارخة بين العقيدة والسلوك، وبين الواجب والواقع وبين الدين والسياسية ، وبين القول والعمل، وبين الآمال، والمنجزات، وبين ما شرعه الله وما وضع البشر"[13]. ومن هذه المتناقضات إن احتملها الشيوخ لا يحتملها الشباب ، وإن احتملها بعضهم لا يحتملها كلهم ، وإن احتملوها بعض الوقت لن يحتملوها كل الوقت. "

4 – قد يكون سبب التطرف السطحية في فهم الإسلام والتباس كثير من مفاهيمه واضطرابها في أذهان الشباب ، أو فهمها على غير وجهها ، في قضايا أساسية [كالإيمان ـ والإسلام ـ والكفر ـ والشرك ـ والجهاد ـ والاستشهاد ـ والحجاب ـو غيره].

وكذلك قلة المعلومات الفقهية العلمية وعدم التعمق في معرفة أسرار العلوم الدينية والوصول الى فهم مقاصدها واستشفاف روح أحكامها، ولا نقصد هنا بهذا السبب الجهل المطلق بالدين، فهذا في العادة لا يفضي إلى التطرف بل إلى التقيض وهو الانحلال والتسيب والخرافة والشعوذة . إنما نعني

بأنصاف العلماء الذين يظنون أنهم دخلوا زمرة العلماء، وهم يجهلون الكثير، بل يعرفون نتفا من العلوم من هنا وهناك غير متماسكة ومترابطة، وهم لايربطون الجزئيات بالكليات ولا يردون المتشابهات إلى المحكمات، ولا يحاكمون الظنيات إلى القطعيات. ولا يعرفون من فنون التعارض والترجيع ما يستطيعون به أن يجمعوا بين المختلفات، أو يرجحون بين الأدلة والاعتبارات. وقد نبه الإمام أبو إسحاق الشاطبي في كتابة الاعتصام[14] إلى أن أول أسباب الابتداع والاختلاف المذموم المؤدي إلى تفريق الأمة شيعا وجعل بأسها بينها شديدا أن يعتقد الإنسان في نفسه، أو يعتقد فيه . أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين وهو لم يبلغ تلك الدرجة ، فيعمل على ذلك "و يعد رأيه رأيا . وخلافه خلافا " – وهذا هو المبتدع الذي نبه عليه الحديث الصحيح . قال عليه الصلاة والسلام (لا يقبض الله العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذ لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا).[15]

5 – قد يعود سبب التطرف إلى فساد الحكام والحكم وأعوانهم [بطانة السوء] وطغيانهم واستبدادهم وجريهم وراء ملذاتهم وشهواتهم ، وتفريطهم في شعوبهم من عدل اجتماعي ومساواة في توزيع الثروة .

6 – وقد يعود سبب التطرف إلى خضوع حكام العرب والمسلمين إلى إرادة الأجنبي ومساندة أصحاب الأفكار الغريبة عن المجتمعات العربية والإسلامية – كالإلحاد ، والتفسخ وهدم الأسرة – والإباحية كما تشير بعض الدلائل إلى أن إحياء التطرف الديني مرهون بمخططات أجنبية تستهدف الإسلام ولغته

وأهله، التي ضحّت شعوبه من أجل ترسيخ هذه الثوابت، ودفعت من أجلها خيرة أبنائها وما هو غال ونفيس.فقد أصبح الإسلام غريبا بين أهله وقومه وفي دياره[16]. في حين أن الأفكار والآراء الوافدة تلقى الترحيب. والحرية الكاملة، بل تجد من يمكن لها بحد السيف ويفرضها على العقول، حتى أصبح بعض الناس يرون أن الجهاد من أجل تحرير فلسطين وتطهير المسجد الأقصى إرهابا، وأن تطهير مجتمعهم من الخائنين المنشقين انتهاكا لحقوق الإنسان.

7 – وقد يكون سبب التطرف ظاهرة اجتماعية أو سياسية أو أمنية كبعض المضايقات من طرف بعض السلطات الأمنية والإدارية [كالحقرة] وذلك بسبب عدم المساواة أمام العدالة والقانون .

و خلاصة القول في هذا الموضوع : أن معرفة أسباب التطرف وبواعثه تتطلب تظافر جهود العديد من الباحثين المختصين في علم الأديان = وعلم الاجتماع = وعلم النفس = وغيرها لأنها متشابكة ومتداخلة وكلها تعمل بأقدار متفاوتة مؤثرة آثارا مختلفة قد يقوى أثرها في شخص، ويضعف في آخر، وقد يقوى كذلك في جماعة ويضعف في أخرى فلأجل ذلك لا ينبغي لنا أن نقف عند سبب واحد من أسباب التطرف الذي يظهر أمامنا ويطغى على غيره من الأسباب.

رابعا : التطرف الديني وتحذير الإسلام منه:

الإسلام منهج وسط في كل شيء: في الاعتقاد، والتعبد، الأخلاق، والسلوك والمعاملة، والتشريع وهذه الوسطية تعد إحدى الخصائص العامة للإسلام وإحدى المعالم الأساسية التي ميز بها الأمة الإسلامية عن غيرها. قال

تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس)[17] فهي أمة العدل والاعتدال التي تشهد في الدنيا والآخرة على كل انحراف يمينا أو شمالا على خط الوسط.و النصوص من القرآن والسنة النبوية الشريفة تبين بوضوح أن الإسلام ينفر أشد النفور من هذا التطرف والغلو والتنطع، ويحذر منه أشد التحذير.و هذا المنهج الذي جاء به الإسلام هو الذي سماه (السراط المستقيم) وهو منهج متميز عن طرق أصحاب الديانات والفلسفات الأخرى من (المغضوب عليهم)[18] ومن (الضالين)[19] الذين لا تخلو مناهجهم من تطرف وغلو وتفريط وإفراط ، وحسبنا أن نستقرئ هذه النصوص من الكتاب :

1) قال تعالى (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم)[20]. والآية الكريمة تنهانا عن الغلو في ديننا كما غلوا ، أي اليهود والنصارى ، والسعيد من اتعظ بغيره .

2) قال تعالى (لا تغلوا في دينكم)[21]. قال القرطبي : - ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون غلو اليهود في عيسى عليه السلام حتى قذفوا مريم. وغلو النصارى فيه حتى جعلوه ربا، فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر[22].

قال الشاعر:

عليك بأوساط الأمور فإنها نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

وقال الإمام رحمه الله في تفسير قوله تعالى : (قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق)[23].

أي لا تفرطوا كما فرطت اليهود والنصارى في عيسى عليه السلام فغلو اليهود في عيسى :قولهم ليس ولد رشدة (أي ولد نكاح) وغلو النصارى قولهم انه اله[24].

و من السنة الشريـــــفة:

1- روى الإمام أحمد في مسنده والنسائي وابن ماجة في سننهما ، والحاكم في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين"[25] فالحديث الشريف تضمن التحذير الشديد من الغلو في الدين، وبين أن أهل الأديان السابقة وخاصة أهل الكتاب، وعلى الأخص النصارى الذين خاطبهم القرآن (قل يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق). و سبب ورود الحديث ينبه إلى أمر مهم وهو إن الغلو قد يبدأ بشيء صغير ثم تتسع دائرته ويتطاير شرره، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حين وصل إلى المزدلفة في حجة الوداع قال لابن عباس : (هلم القط لي – أي حصيات ليرمي بها في منى – قال فلقطت له حصيات من حصى الحذف – يعني حصى صغارا مما يحذف به – فلما وضعهن في يده . قال : نعم بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين ...) والحديث أيضا يتضمن معنى وهو لا ينبغي أن يتنطع الحاج فيقول: الرمي

بكبار الحصى أبلغ من الصغار، فيدخل عليهم الغلو شيئا فشيئا فلأجل هذا حذرهم..

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله قوله صلى الله عليه وسلم : (إياكم والغلو في الدين) عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقاد، والأعمال. و الغلو مجاوزة الحد. والنصارى أكثر غلوا وتطرفا في الاعتقاد من سائر الطوائف وقد نهاهم الله تعالى عن الغلو في القرآن بقوله (لا تغلوا في دينكم).

2 - روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (هلك المتطعون) قالها ثلاثا[26].

قال الإمام النووي:"المتنطعون "أي المتعمقون المتجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم . ويلاحظ أن هذا الحديث والحديث الذي ذكرناه من قبل جعلا عاقبة " الغلو والتنطع" هي الهلاك، ويشمل هلاك الدين والدنيا معا ، وأية خسارة أكبر وأشد من الهلاك..

3)- روى أبو يعلي في مسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : (لا تشدّدوا على أنفسكم فيشدّد عليكم، فان قوما شدّدوا على أنفسهم فشدّد عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات) . قال تعالى (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم)[27]. وذكر الإمام ابن كثير في تفسيره : (من أجل ذلك قاوم النبي صلى الله عليه وسلم كل اتجاه يترع إلى التطرف والغلو في الدين ، وأنكر على من بالغ من أصحابه رض الله عنهم في التعبد والتقشف مبالغة تخرجهم عن حد الاعتدال الذي جاء به الإسلام ووازن

به وبين الروحية والمادية، ووفق بفضله بين الدين والدنيا[28] وبين حظ النفس من الحياة، وحق الرب في العبادة التي خلق لها الإنسان، فقد شرع الإسلام من العبادات ما يزكي نفس الفرد ويرقى به روحا ومادة، وما ينهض بالجماعة كلها ، ويقيمها على أساس من الأخوة والتكافل دون أن يعطل مهمة الإنسان في عمارة الأرض.فالصلاة والزكاة والصيام والحج عبادات فردية واجتماعية في نفس الوقت فهي لا تعزل المسلم عن الحياة ولا عن المجتمع ، بل تزيد ارتباطه شعوريا وعمليا، ومن هنا لم يشرع الإسلام (الرهبانية) التي تفرض على الإنسان العزلة عن الحياة وطيباتها والعمل لتنميته وترقيته ، بل يعتبر الأرض كلها محرابا كبيرا للمؤمنين ، ويعتبر العمل فيها عبادة وجهادا إذا صحت فيه النية والتزمت حدود الله.ولا يقر ما دعت إليه الديانات والفلسفات الأخرى من إهمال الحياة المادية لأجل الحياة الروحية ، ومن حرمان البدن وتعذيبه حتى تصفو الروح وترقى ، ومن إهدار شأن الدنيا من أجل الآخرة فقط جاء بالتوازن في هذا كله.

ولقد أنكر القرآن الكريم أشد النكير على أصحاب هذه النزعة في تحريم الطيبات والزينة التي أخرج الله لعباده قال تعالى (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) . قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق))[29] . وقال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعدوا إن الله لا يحب

المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون))[30]. فالآيتان الكريمتان تبينان حقيقة المنهج الإسلامي في التمتع بالطيبات ، ومقاومة الغلو والتطرف الذي اتصف به أتباع اليهودية والنصرانية وغيرهما من الأديان والملل والنحل . فقد روي في سبب النزول أن رهطا من الصحابة قالوا : نقطع مذاكيرنا ونترك شهوات الدنيا ، ونسيح في الأرض كالرهبان . وروي أن رجالا أرادوا أن يتبتلوا أو يخصوا أنفسهم ويلبسوا المسوح – [لباس الرهبان] فنزلت.

وروي في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن ناسا من أصحاب رسول لله صلى الله عليه وسلم . سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر ، فكأنهم تقالوها أي (عدوها قليلة) قال بعضهم لا آكل اللحم ...و قال بعضهم لا أتزوج النساء ... وقال بعضهم لا أنام على فراش ... فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ،فقال :" ما بال أقوام يقول أحدهم كذا وكذا .! لكني أصوم وأفطر ، وأنام ،و أقوم ، وآكل اللحم ، وأتزوج النساء ،فمن رغب عن سنتي فليس مني ، وسنته صلى الله عليه وسلم تعني منهجه في فهم الدين وتطبيقه ، وكيف يعامل ربه عز وجل...

و يعامل نفسه وأهله ، والناس من حوله معطيا لكل ذي حق حقه في توازن واعتدال.والإسلام يحذر من التطرف الديني ويأخذ بمنهج التخفيف والتيسير ونفي الحرج والتعسير قال تعالى((يريد الله بكم اليسر ولا يريد

بكم العسر))[31]. ويقول سبحانه وتعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج)[32] ويقول سبحانه وتعالى((ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج)[33] ويقول سبحانه وتعالى { يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا }[34] فإن جميع هذه النصوص القرآنية تدعو للتخفيف والتزام التيسير ونفي الحرج والتعسير ، والنبي صلى الله عليه وسلم يؤكد هذا المنهج بأحاديثه الكثير.

(1)- " إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا " [35] ومعنى الحديث : لن يشاد الدين أحد إلا غلبه، أي لا يتعمق أحد في العبادة ويترك الرفق كالرهبان في الصوامع إلا عجز فغلب ، وليس المراد ترك طلب الأكمل في العبادة فانه محمود ، بل منع الإفراط المؤدي للملل ومعنى (فسددوا) : أي ألزموا السداد وهو الصواب بلا إفراط، وبلا تفريط. ومعنى (قاربوا): أي لا تبلغوا النهاية بل تقرّبوا منها . ومعنى (أبشرو: (أي أبشروا بالثواب على العمل الدائم ولو قل [36] وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم (أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلت) أو كما قال.

2-قال عليه الصلاة والسلام (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا)[37].

3- شكا أحد الصحابة معاذ بن جبل للنبي صلى الله عليه وسلم حين صلى بالناس وأطال فغضب صلى الله عليه وسلم وقال : (يا معاذ آفتان أنت) ثلاث مرات[38].

4-قال صلى الله عليه وسلم (إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فان منهم الضعيف والسقيم ، والكبير وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطول ما شاء)[39].

5-و عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إني لا ادخل في الصلاة ، وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي ، فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه)[40] كما أن لأجل التخفيف والتسير عن الأمة شرعت الرخص. قال صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى يحب أن تؤتي رخصة كما يكره أن تؤتي معصيته)[41].و قال رسول اله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو حين بلغه انهماكه في العبادة انهماكا أنساه حق أهله عليه : (ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قال عبد الله :قلت بلى يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم (لا تفعل ! صم ، وأفطر ، وقم ، ونم فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينيك حقا وإن لزوجك عليك حقا)[42]. و نفس الحقوق علمها الصحابي الفقيه سلمان الفارسي لأخيه العابد الزاهد أبي الدرداء، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهما، فزادت بينهما الألفة وسقطت الكلفة. فزار سلمان أبا الدرداء فوجد أم الدرداء – زوجته مبتذلة (يعني تلبس ثياب البذلة والمهنة ، لا ثياب الزينة والتجمل كما تفعل المرأة المتزوجة . فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا ! فجاء أبو الدرداء فرحب بسلمان وقرب إليه طعاما فقال : كل فإني صائم ! فقال سلمان ما أنا بآكل حتى تأكل .وفي رواية أقسمت عليك لتفطرن قال : فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم الليل فقال سلمان : نم فنام ، ثم ذهب ليقوم فقال سلمان له نم ، فلما كان آخر الليل

قال: سلمان : قم الآن، فصليا، فقال له سلمان، إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط لكل ذي حق حقه، فأتى أبو الدرداء النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : صدق سلمان)[43] وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق)[44] وفي رواية ضعفها السيوطي (إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقر)[45] ومعنى الحديث قال المناوي : (متين) أي صلب (فأوغلوا) أي سيروا برفق من غير تكلف ، ولا تحملوا على أنفسكم مالا تطيقونه فتعجزوا وتتركوا العمل.

وقال الغزالي : معنى الحديث أن لا يكلف المسلم نفسه في أعماله الدينية ما يخالف العادة . بل يتدرج ويتلطف ولا ينتقل دفعة واحدة إلى التطرف الأقصى من التبدل . فالطبع الإنساني نفور ولا يمكن نقله عن أخلاقه الرديئة إلا شيئا فشيئا حتى تتخلّص من تلك الصفات المذمومة التي رسخت بها ، ومن لم يراع التدرج ، وتوغل دفعة واحدة ، فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا .

خامسا : علاج التطرف الديني :

ظاهرة التطرف الديني ظاهرة عالمية وجدت في عصرنا في أماكن عدة من العالم – كالبوسنة والهرسك – وكوسوفة – والهند وباكستان ، وتعتبر دولة إسرائيل نموذجا حيا في عصرنا الحاضر لتمثيل الإرهاب وتصديره ، ونحن لا نقصر الإرهاب على دولة كالجزائر فقط أو في قارة كالقارة الإفريقية وإنما

نقول بعموم هذه الظاهرة في العالم كله حتى إن الدول الأولى في العالم تمارس الإرهاب وترعاه كروسيا مع الشيشانيين وإنجلترا وفرنسا وأمريكا مع العراق وغيره من الدول الأخرى .فللأجل هذا فإنه ليس من السهل كتابة وصفة علاجية لهذه الظاهرة الخطيرة والمعقدة الماثلة للعيان حاضرا ، والممتدة الجذور في عمق التاريخ الإنساني بأسبابها وبواعثها المتعددة المختلفة ، وإزاء ذلك فإننا نوصي بمراعاة الاعتبارات العامة الآتية واتباع الوسائل والإجراءات الآتية :

أولا : يجب على العلماء المخلصين لدينهم ووطنهم القيام بإظهار التطرف الديني وتحديد المراد به بعلم وبصيرة ، وهذا المجهود يعتبر الخطوة الأولى في طريق علاج التطرف ليهلك من هلك عن بينه ويحي من حي عن بينه ، ولا قيمة لأي بيان أو حكم لظاهرة التطرف الديني ما لم يكن مستند المفاهيم الشرعية الإسلامية الأصلية وذلك بالرجوع إلى النصوص التي تحدد القواعد الشرعية الثابتة ، لا إلى الآراء المجردة والأهواء المغرضة ، ولا حجة لقول أحد مهما كان مركزه الاجتماعي أو السياسي أو العسكري في مقابل قول الله ورسوله .قال تعالى (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)[46] ، وقد اتفقت الأمة الإسلامية سلفها وخلفها على أن الرد إلى الله ورسوله يعني الرد إلى كتابه ، والرد إلى رسوله صلى الله عليه وسلم يعني الرد إلى سنته عليه الصلاة والسلام ودون الرجوع إلى هذه القاعدة الشرعية لم ولن يهتم الشباب المتطرف أو المهتم بالتطرف التفاتا إلى فتوى هذا أو مقال من ذلك ، ويعزفون عن الاتهام الذي ينكرونه ،

ويتهمون غيرهم بالتزييف للحقائق ، وتسمية الأشياء بغير مسمياتها، وذلك لأن واقع الناس تختلف فيه أهواء هم ومشاربهم وغاياتهم ولا بد لهم من سبيل يجمعهم وخير ما يجمع أبناء الأمة كتاب الله وسنة ورسوله . صلى الله عليه وسلم قال تعالى: (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن)[47].

ثانيا: يجب أن تتكاتف المؤسسات التعليمية والتربوية بجميع مستوياتها وأنواعها سواء كانت مدينة أم عسكرية بتشخيص مواضع الانحراف والخلل في أفكار حركات التطرف الديني وذلك بتبني منظومات تربوية تعليمية تركز في مناهجها بيان المفاهيم الصحيحة مقتبسة ذلك من منهج الإسلام الصحيح عقيدة وشريعة مع التركيز على الأحكام والمبادئ التي تم تأويلها وتحريفها عن مواضعها كقول الله سبحانه وتعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)[48] قال ابن عباس رضي الله عنهما (ليس بكفر ينقل عن الملة بل إذا فعله فهو به كفر ، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر) . ومنهم من تأول الآية على ترك الحكم بما أنزل الله جاحدا له . وهو قول عكرمة . وهو تأويل مرجوح ، فإن نفس جحوده كفر سواء حكم أم لم يحكم)[49].

قال ابن القيم رحمه الله (والصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين الأصغر والأكبر ، بحسب حال الحاكم ، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة ، وعدل عنه عصيانا مع اعترافه بأنه مستحق

للعقوبة فهذا كفر أصغر وإن اعتقد أنه غير واجب، وأنه مخير فيه، مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر. و إن جهله وأخطاءه ، فهذا مخطئ له حكم المخطئين))[50].

ثالـــثا: تسليط الضوء على أحكام الجهاد في دين الله وتراثه الفقهي الواقعي وذلك لاستجلاء حقيقته الموضوعية الثابتة وظـــروفه المتغيرة حتى لا يندفع في عدوان من جهل أو خطأ في التأويل مع بيان مفهوم " الاستشهاد" وهدف الإسلام منه، ومن القتال حتى لا يقتل المسلم نفسه أو غيره في عمليات انتحارية عن جهل وسوء فهم ،و يترك العدو الحقيقي للدين والأمة والوطن.

و بتثبيت هذا المنهج تتفادى الأمة إزهاق أرواح أبنائها ، واستنزاف طاقاتها الحية ، وتحول هذه القوة إلى نحرعدوها الحقيقي كتخليص بيت المقدس من يد العدو الصهيوني ، ولو تأملنا قليلا وجمعنا الشباب الذي احترق بنار الفتنة في الجزائر ومصر وسوريا في حماه وغيره من شباب المسلمين ووجه إلى عدو الأمة لكانت النتيجة غير التي أصابت الأمة الإسلامية بتخريب الديار وهتك الأعراض وقتل الأبرياء وسفك الدماء وتدمير الذات ولكن كما قال الشاعر :

ناديت لـــو أسمعت حيا ولكن لا حياة لـــمن تنادي

رابعا: نشر مفهوم الدولة وثقافتها وفلسفة الحكم في الإسلام وعلاقة الحاكم بالمحكوم وموقع ذلك من الإيمان والإسلام.

خامسا: نشر العلوم الإسلامية في نطاق أو سع وفي جميع الميادين مع قيام المؤسسات الاجتماعية والخيرية والنفسية بدراسة دوافع الرفض الاجتماعي وغاياته، وانتشار موجات التمرد والرفض بين الشباب خاصة مع تقديم

دراسات علمية أكاديمية تتضمن مقترحات تساعد على إختفاء الاستفزاز [والحقرة] الاجتماعي أو تساعد وتفيد على الأقل في التقليل من حدته تمهيدا لعلاج مشكلة التطرف الديني وغير الديني [العنصري وغيره].

سادسا: قيام الأحزاب السياسية والمجالس الشعبية بالعمل على تعميق الممارسات الديمقراطية وتعميق مبدأ الشورى والتصالح وإتاحة الفرص للشباب على حد سواء والابتعاد عن الديماغوجية والنفاق السياسي والإداري وكل ما هو سلبي يمكن أن يستغل من قبل من لهم قابلية للتطرف الديني وغيره سواء كان عنصريا أم سياسيا.

سابعا: قيام المؤسسات الإعلامية و الثقافية بالاهتمام بالإعلام الديني واستثماره مع التركيز على توجيه النزعة الدينية الفطرية السليمة والعناية بالمناسبات الدينية التي تعمل فيها على ترسيخ القيم الإنسانية العليا التي يدعو إليها الإسلام.

ثامنا : قيام الدولة ممثلة في جميع مؤسساتها بالعمل المتواصل والمخطط على غرس روح التآخي والتصالح الاجتماعي بين فئات أبناء الوطن إبتداء من الأسرة والمدرسة والجامعة والمصنع وفي مؤسسات الدولة سواء كانت مدنية أم عسكرية، مع إظهار الوجه القبيح للتطرف مستغلة في ذلك البحوث العلمية الأكاديمية في الجامعات والمراكز الثقافية والثكنات العسكرية، والندوات العلمية في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة وغيرها.

سادسا : خاتمة البحث : في ختام هذا البحث الإسلام والتطرف الديني يبدو لنا أن أسباب العلاج المقترحة لعلاج ظاهرة التطرف الديني ليس إلا مؤشرات ومفاتيح ، وأن الأمر يتطلب تخطيطا سليما من ذوي الاختصاص من العلماء والخبراء يناقشون الأمر من وجهات متعددة بالاستعانة بالصبر الجميل، والمتابعة. الحثيثة المستمرة الهادئة والهادفة إلى أن تتوج الأعمال وتكلل بالنجاح.

وأحب أن أكتب ما قاله الأستاذ (ألفنصو دولا سيرتا) في الأصولية الإسلامية قال الأستاذ: ((إن الغرب يتخبط في النـــزر القليل الذي يعرفه عن الإسلام ، إننا نجهل روح الإسلام ، وما يدعو إليه الإسلام من إيمان مطلق، واستسلام للخالق.....)).

ويقول : ((وأرى كذلك أن هذه الأصولية لا تخلو من تداعيات سياسية وعلى أي فإن المسلم الذي يؤمن بدين ينظم حياته العقدية والدنيوية المادية في آن واحد، بدون انفصام كما هو الشأن عندنا، فان أي مساس بأحدهما أو أي خلل في التوازن بينهما قد يكون سببا للنهوض إلى إعادة التوازن المنشود. إن تركيا التي كانت تقوم بوظيفة الخلافة، تم صيرها مصطفى أتاتورك علمانية دفعة واحدة ، هي الآن مسرح لتيارات دينية إسلامية يجب أن تعتبر ردة فعل. إن للاستعمار ضلعا فيما يحدث في بعض البلدان الإسلامية لأنه غير بقصد أو بغيره النظام الاجتماعي الذي كان قائما منذ قرون وكان الدين لحمته وصار المستعمرون بعد الاستقلال يعيشون حالة انفصام في الهوية، فهم

يبحثون عن توازن بين هويتهم الأصلية وبين مكتسبات العصر الحديث ونجد الانفصام متجليا في اللغة والسلوك والعادات[51].

المراجع

1- تفسير القرطبي – الجامع لأحكام القرآن

2- تفسير ابن كثير- تفسير القرآن العظيم

3- صحيح البخاري – فتح الباري

4- الإمام مسلم – صحيح مسلم

5- الإمام أحمد – مسند الإمام أحمد

6- الإمام النسائي – سنن النسائي

7- الإمام أبو إسحاق الشاطبي – كتاب الاعتصام

8- الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد

9- فيض القدير.

10- الإمام الأشعري - مقالات الإسلاميين

11- الأستاذ عبد الكريم الشهرستاني – الملل والنحل

12- الفرق بين الفرق – للبغدادي

13- د/ عبد الله سلوم السمرائي الغلو والفرق الغالية

14- د/ يوسف القرضاوي – الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف

15- التطرف الديني د/ سعدون محمود الساموك - د/ قحطان عبد الرحمان الدوري ،د/ رشيد محمد عليان .

16- ابن منظوز – لسان العرب.

17- معجم تاج العروس للزبيدي.

18- كتاب المفردات للراغب الأصفهاني .

19- د/ أحمد بن نعمان – التعصب مع أو ضد الإسلام والإنسان واللسان.

20- مجلة أكاديمية المملكة المغربية عدد1999/16

الهوامش

1- أنظر تاج العروس مادة طرف

انظر كتاب المفردات للراغب الأصفهاني (مادة طرف).

2-.الإمام ابن منظور الإفريقي لسان العرب ج9 ص 213 وما بعدها ط دار إحياء التراث العربي ج 1 ص 243 ط مصطفى البابي الحلبي مصر 1948

3-انظر كتاب المفردات للراغب الأصفهاني (مادة طرف).

د/ رشيد محمد عليان أستاذ الأديان في كلية الشريعة بغداد التطرف الديني ص 52 ط وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بغداد

4-هذا البيت للطائي –أنظر تفسير الكشاف للإمام الزمخشري ج1 ص243 ط مصطفى البابي الحلبي مصر 1948.

5-د/ رشيد محمد عليان أستاذ الأديان في كلية الشريعة بغداد التطرف الديني ص 52 ط وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بغداد

6-د/ احمد بن نعمان – التعصب مع أو ضد الإسلام والإنسان واللسان لماذا وكيف؟!!ص 12 ط منشورات دحلب 1990 م.

7-د/ احمد بن نعمان نفس المرجع ص 14.

8- **الخوارج**: سمو بذلك لخروجهم عن كل إمام، واعتقادهم أن ذلك فريضة عليهم، لا يسعهم المقام في طاعته حتى يخرجوا ويتخذوا لأنفسهم دار هجرة وحتى يكونوا منابذين لمن خالفهم من المسلمين حربا لهم، والمسلمون عندهم كفار مشركون إلا من رافقهم وبايعهم، واستجار بهم حتى يسمع كلام الله . ويقولون بالبراءة من عثمان وعلي وتكفيرهما ، وتكفير كل إمام بعد أبي بكر وعمر والبراءة منهم، وإجماعهم على أمام يختارونه من أوفياء الناس ممن كان قائما بالكتاب والسنة ، ويقولون أيضا بالخروج على كل إمام جائر ، وتكفير مرتكب الكبيرة. ومن فرقهم – الصفرية نسبة إلى ابن صفار رئيس لهم، وقيل سموا بذلك لكثرة عبادتهم اصفرت وجوههم. والبيهسية نسبة إلى أبي بيهس، والأزارقة نسبة إلى نافع بن الأزرق الحنفي وكان رئيس الخوارج . والنجدات ، ويقال لهم القعدة ، وذلك نسبة إلي نجد بن عامر الحنفي الذي كان من رؤسائهم. انظر في هذا الموضوع – عبد الكريم الشهرستاني – الملل والنحل ج1- وانظر الفرق بين الفرق للبغدادي .

وانظر: مقالات الإسلاميين للأشعر -- وانظر عبد الله سلوم السمرائي – الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية ص 282 وما بعدها دار واسط للنشر. . انظر ص 82

الشيعة: الشيعة من اكبر الفرق الإسلامية وأقدمها. والفرقة التي تعبّر عن الشيعة تعبيرا رسميا ودقيقا هي فرقة الامامية الاثنـــي عشرية . أما بقية الفرق تفرعت عن الشيعة ، فابـــتعد بعضها كثيرا عن حدود هذه الفرقة ومبادئها.و الشيعة: هم الذين شايعوا الإمام علي رضي الله عنه، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصاية واعتقدوا إن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وقالوا الإمامة ركن من أركان الدين./ عبد الله سلوم السامرائي الغلو. الفرق الغالية في الحضارة الإسلامية ص 82. و انظر د/ رشدي محمد عليان التطرف الديني – محاضرات الندوة الفكرية الثالثة التي أقامتها كلية الشريعة بجامعة بغداد في 1986/03/31 م ص 59 وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الجمهورية العراقية.

9-عبد الله سلوم السّمرائي ، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية ، ص82 ، أنظر د. رشيد محمد عليان ، التطرف الديني ، محاضرات الندوة الفكرية الثالثة التي أقامتها كلية الشريعة ، ببغداد في 1986/3/31. ص59، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية الجمهورية العراقية .

10- أنـــظر الأستاذ الـــدكتور أحـــمد بن نعمان – التعصب مع أوضد الإسلام والإنسان واللسان لماذا وكيف ؟!! ص 14 – ط منشورات دحلب.

11-سورة ص آية 77.

12- سورة هود 119

13- أنظر د/ يوسف القرضاوي كتاب الأمة – الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص 61 وأنظر د/ رشدي محمد عليان التطرف الديني ص 59 مرجع سابق.

14- الإمام أبي إسحاق الشاطبي - الاعتصام ج2 ص 173.

15- حديث صحيح رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

16-انظر مقالا لأستاذنا الدكتور قحطان عبد الرحمان الدوري بعنوان التطرف الديني ص 21 مرجع سابق.

17-سورة البقرة آية 143.

18- المغضوب عليهم : اليهود

19- و الضالون: النصارى.

20-سورة المائدة آية 77.

21- النساء آية 171.

22- انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص 288 طبعة دار القلم وانظر الإمام القرطبي الجامع لأحكام القران ص 252.

23- المائدة 77.

24- الإمام القرطبي – الجامع لإحكام القرآن ج6 – ص 252

25- نقل المناوي في الفيض ج3 ص 126 عن ابن تيمية قوله هذا إسناد صحيح على شرط مسلم

26- الحديث رواه مسلم في صحيحه، ونسبه السيوطي إلى احمد وأبي داود أيضا.

27- سورة الحديد آية 27.

28- الإمام إسماعيل بن كثير تفسير القرآن العظيم ج 6 – ص 569 ط دار الأندلس.

29- الأعراف آية 31

30- سورة المائدة 87 – 88

31-سورة البقرة آية 185

32- سورة الحج آية.78

33- سورة المائدة آية6

34- سورة النساء آية 28

35- حديث صحيح رواه البخاري والنسائي عن أبي هريرة وقال السيوطي صحيح

36- أنظر فيض القدير ج 2 ص 329.

37- حديث متفق عليه ، ورواه أحمد والنسائي عن أنس بن مالك ، وقال السيوطي صحيح.

38- من حديث رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة

39- حديث رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة

40- حديث رواه البخاري في صحيحه – انظر فتح الباري ج 2 ص 197 وما بعدها كتاب الآذان

41- الحديث رواه أحمد في مسنده ، وابن حبان في صحيحه والبيهقي في شغب الإيمان . أنظر فيض القدير ج 2 ص 296

42-رواه أحمد في مسنده ، وقال الإمام السيوطي صحيح

43- حديث صحيح رواه الإمام البخاري ، والحكيم الترمذي

44- رواه البزار عن جابر ، وضعفه الإمام السيوطي

45- أحمد في مسنده ، وقال الإمام السيوطي صحيح

46- النساء آية 59.

47- المؤمنون ،آية 71

48- سورة المائدة آية 44

49- د/ يوسف القرضاوي كتاب الأمة – الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص 81

50-دكتور يوسف القرضاوي كتاب الأمة - الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف ص 82.

ومن الأمثلة على الكفر الأصغر : (لا ترجعوا بعدى كفار يضرب بعضكم رقاب بعض) (من آتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم) (اثنتان في أمتي هما بهم كفر – الطعن في النسب ، والنياحة . وكذلك قد تطلق كلمة كفر على المعاصي التي لا تحتمل إنكارا ولا جـــحودا ولا تكذيب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم

51- الأستاذ/ الفونصو دولا سيرتا – تأملات من فاس في الأصولية الإسلامية مجلة أكاديمية المملكة المغربية ص 180 وما بعدها – العدد 16 عام 1999 ط مطبعة المعارف الجديدة الرباط.